سورة النورين

التى يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم

دراسة تحليلية أسلوبية

د. إبراهيم عوض

دار زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

المقدمة

هذه الصفحات تعرض بالدراسة لما يزعمه فريق من الشيعة مدخول العقيدة من أن القرآن الكريم قد سقطت منه بعض النصوص التى تتحدث عن حق علىّ وذريته فى إمامة المسلمين بعد النبى عليه الصلاة والسلام . ومن هذه النصوص فى زعمهم سورتان كاملتان تسميان « الولاية » و « النورين » . وقد تلقّفت طائفة من المستشرقين والمبشرين هذه الورقة وأخذت تلعب بها بغية إثارة الشكّ فى النص القرآنى ، أو على الأقل من أجل بلبلة المسلمين والعمل على إغاظتهم وإيقافهم موقف المتهم المدافع عن نفسه بما يخلقه ذلك الموقف فى نفس صاحبه عادة من إحساس بالحيرة والدُّونيّة .

وقد رأيتُ أن أدرس إحدى هاتين السورتين دراسة علمية فحللت أسلوب سورة « النورين » لأرى مدى اقترابــه من الأسلوب القرآنى أو ابتعاده عنه ، فثبَتَ لى على نحو قاطع أنها لا تمت للقران بأية وشيجة ، وأن التزييف فيها والركاكة واضحان تمام الوضوح ، إلى جانب تناقضاتها وسخف معانيها .

وهأنذا أضع بين يدى القارىء ما قمتُ به من تحليل أسلوبى للسورة المذكورة . ويقوم منهجى فى هذا التحليل على ذكر آيات السورة (كلها تقريبًا) آية آية ، مُتبعا كل آية منها بما وجدتُه فيها من ملاحظات لفظية ومعنوية . والله من وراء القصد .

نص السورة المزعومة

بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتى ويحذرانكم عذاب يوم عظيم * نوران بعضهما من بعض وإنّا لسميع عليم * إن الذين يوفون بعهد الله ورسوله فى آيات لهم جنات نعيم * والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يُقْذَفون فى الجحيم * ظلموا أنفسهم وعصوا لوصى الرسول أولئك يُسْقَوْن من حميم * إن الله الذى نوّر السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين * أولئك من خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم * قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذتهم بمكرهم إن أخذى شديد أليم * إن الله قد أهلك عادًا وثمودًا بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون * وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين * ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون * إن الله يجمعهم فى يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يُسألون * إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم * يا أيها الرسول بلغ إنذارى فسوف يعلمون * قد خسر الذين كانوا عن آياتى وحلمى معرضون * مثل الذين يوفون بعهدك إنى جزيتهم جنات النعيم * إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم * وإن عليا من المتقين * وإنا لنوفيه حقه يوم الدين * ما نحن عن ظلمه بغافلين * وكرّمناه على أهلك أجمعين * فإنه وذريته لصابرون * وإن عدوهم إمام

المجرمين * قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون * يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنا ومن يتولاه من بعدك يُظْهَرون * فأعرض عنهم إنهم معرضون * إنا لهم محضِرون * في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون * إن لهم في جهنم مقاما عنه لا يعدلون * فسبح باسم ربك وكن من الساجدين * ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استُخْلِف فبغوا هارون فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنّاهم إلى يوم يبعثون * فاصبر فسوف يبصرون * ولقد آتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين * وجعلنا لك منهم وصيّا لعلهم يرجعون * ومن يتول عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين * يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهدا فخذه وكن من الشاكرين * وإن عليا قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون * سيجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون * إنا بشرناك بذريته الصالحين * وإنهم لأمرنا لا يَخْلِفون * فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون * وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين * وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون * والحمد لله رب العالمين .

تحليل السورة أسلوبيًّا

يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتى ، ويحذّرانكم عذاب يوم عظيم .

بالنسبة لكلمة « النورين » بصيغة المثنى فإنه لم يرد فى القرآن تثنية « نور » (بل ولا جمعه) قط . كذلك فإن المقصود بالنورين هنا شخصان (هما النبى عليه الصلاة والسلام وعلى كرم الله وجهه) ، على حين لم يوصف أى من البشر فى القرآن بأنه نور . وإنما الذى وُصِف فيه بأنه نور هو الله سبحانه أو القرآن نفسه : « الله نور السماوات والأرض » (النور / ٣٥) . « فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أُنزِل معه أولئك هم المفلحون » (الأعراف / ١٥٧) . وحتى لا يقول أحد إن النور فى قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » (المائدة / ١٥) هو الرسول صلى الله عليه وسلم فإننا نلفت النظر إلى الآية السابقة ، فالنور فيها قد أُنزِل مع الرسول عليه السلام ، أى هو غيره ، وكذلك إلى هذه الآية : « ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا » (الشورى / ٥٢) ، فالنور فيها هو الكتاب وليس الرسول (أو أى شخص آخر) ، بل إن النور لم يُضَف فى أى موضع من القرآن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام (ولا إلى أى نبى) مجرد إضافة .

وفى الوقت الذى نرى فيه الآية التى نحن بصددها تقول إن الله قد أنزل

هذين النورين (محمدًا وعليا) نجد أنه لم يرد فى القرآن قط أن الله سبحانه قد أنزل أى شخص من السماء ، وإنما الإنزال فيه يقع على الكتاب أو التوراة أو الملائكة أو الخير أو الذكر أو الأمنة (النعاس) أو الماء أو السكينة أو الرزق أو السلطان أو النور (بمعنى الوحى الإلهى) أو القرآن أو المن والسلوى .

ثم إن النور فى القرآن إن اقترن بشىء فهو يقترن بالهداية وما فى معناها ، ولم يحدث قط أن اقترن بالعذاب أو التحذير منه كما هو الحال فى الآية التى بين أيدينا . وهذه أمثلة من الآيات التى اقترن فيها النور بشىء آخر : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » (المائدة / ١٥) . « إنا أنزلنا التوراة فيها هُدًى ونور » (المائدة / ٤٤) . « وآتيناه الإنجيل فيه هُدًى ونور » (المائدة / ٤٦) . « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أُنزِل معه أولئك هم المفلحون » (الأعراف / ١٥٧) . « يهدى الله لنوره من يشاء » (النور / ٣٥) . « يا أيها الناس ، قد جاءكم برهان من ربكم ، وأنزلنا إليكم نورا مبينا » (النساء / ١٧٤) . « قل : من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ... ؟ » (الأنعام / ٩١) . « ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا » (الشورى / ٥٢) . « يؤتِكم كِفْلَين من رحمته ويجعلْ لكم نورا تمشون به » (الحديد / ٢٨) . « جاءوا بالبينات والزُّبُر والكتاب المنير » (آل عمران / ١٨٤) .

أما الفعل « يحذِّر » فإنه لم يأت فى القرآن إلا مرتين ، وكان الفاعل

فيهما هو « الله » والمفعول الثانى هو « نفسه » : « ويحذركم الله نفسه » (آل عمران / ٢٨ ، ٣٠) ، وهو ما يخالف ما ورد فى الآية التى ندرسها .

***

نوران بعضهما من بعض . وإنَا لسميع عليم .

هذا نص الآية على حسب ما جاء فى كتاب جردنر (١) . وقد جاء فيه خبر « إنَا » مفردًا ، وهو مالم يرد فى القرآن ، سواء كان المتكلم هو الله : « وإنا لَمُوَفُّوهم نصيبهم غير منقوص » (هود / ١٠٩) أو غيره : « وإنا لنحن الصافُّون » (الصافات / ١٦٥) . أمَا على النص الوارد فى كتاب « الشيعة والقرآن » لإحسان إلهى ظهير (٢) فهو « وأنا السميع العليم » ، وبالتالى فلا مشكلة فى تركيب العبارة .

***

إن الذين يوفون بعهد الله ورسوله فى آيات لهم جنات نعيم .

العهد فى القرآن إما عهدٌ حربى أو غير حربى ، وفى العهد غير الحربى نجد أن الله سبحانه دائما هو طرف قائم بذاته ، بلا شركة مع الرسول عليه السلام أو مع غيره . أما العهد الحربى فلا يكون إلا بين المسلمين والكفار . وقد ورد فى واحد من هذا النوع الأخير من العهود اسم الله مع الرسول : « كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ؟ » (التوبة / ٧) . كذلك لم يرد قط فى القرآن « وفاء بالعهد » لأحد إلا لله سبحانه وحده ، بغير أن يشرَكه فى ذلك أحد ، فضلا عن أن يستقل هذا الأحد بذلك . وهذا كله يخالف ما جاء فى

الآية التى أمامنا . وهذه هى الآيات التى تناولت هذا الموضوع : « بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين » (آل عمران / ٧٦) . « ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما » (الفتح / ١٠) . « وأوفُوا بعهدى أوف بعهدكم » (البقـرة / ٤٠) . « الذيـن يوفـون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » (الرعد / ٢٠) . « وبعهـد اللـه أوفُوا » (الأنعام / ١٥٢) . « وأوفوا بعهد اللـه إذا عاهدتـم » (النحـل / ٩١) . « ومـن أوفـى بعهـده مـن اللـه ؟ » (التوبة / ١١١) . وهناك آيتان ورد فيهما العهد مطلقا ، أى بغيـر أن يضـاف إلى اللـه . وهاتـان الآيتـان هما : « وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسؤولا » (الإسـراء / ٣٤) . « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » (البقرة / ١٧٧) .أمـا بالنسبة لعبارة « فى آيات » فالملاحظ أن كلمة « آيات » لم ترد البتة فى القرآن مجموعة إلا وهى :أ- نكرة موصوفة ، مثل : « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات ، وما يكفـر بهـا إلا الفاسقـون » (البقـرة / ٩٩) . « منـه آيات مُحْكَمات » (آل عمـران / ٧) . « والقُمَّـلَ والضفـادع والـدم آيـاتٍ مفصَّـلات » (الأعراف / ١٣٣) . « إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » (النمل / ٨٦) .

ب ـ أو معرّفة بـ (أل) ، مثـل : « قـد فصّلنـا الآيات لقوم يذَّكّرون » (الأنعـام / ١٢٦) . « وما نرسل بالآيـات إلا تخويفـا » (الإسراء / ٥٩) . « قل إنمـا الآيـات عند اللـه » (العنكبوت / ٥٠) . « وصـرّفنا الآيـات لعلهم يرجعون » (الأحقـاف / ٢٧) . « وآتيناهـم مـن الآيـات ما فيه بلاء مبين » (الدخان / ٣٣) .

جـ - أو مضافة ، مثل : « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق » (البقرة / ٦١) . « كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » (البقرة / ٧٣) . « ومَنْ أظلَمُ ممن ذُكّر بآيات ربه ثم أعرض عنها ؟ » (الكهف / ٥٧) . « سأريكم آياتى فلا تستعجلون » (الأنبياء / ٣٧) .أى أنها لم تأت فى القرآن نكرة غير موصوفة ، اللهم إلا مرة واحدة ، وقد سبقتها فى تلك المرة لام التأكيد : « إن فى ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين » (المؤمنون / ٣٠) . ولكن هذه الآية تنتمى إلى المرحلة المكية ، على حين أن السورة التى بين أيدينا ينبغى أن تكون مدنية ، إذ المفروض جدلا أنها نزلت بعد حادثة غدير خم ، وهذه الحادثة قد وقعت بعد الهجرة . كذلك فإن كلمة « آيات » لم تأت مجرورة بحرف الجر « فى » قط وهى منكرة .

وتبقى فى هذه الآية عبارة « جنات نعيم » ، بإضافة « جنات » (مجموعة) إلى « نعيم » ، وهو ما لا يعرفه القرآن ، إذ لم تضف فيه كلمة « جنات » إلى « نعيم » بلا ألف ولام . أمّا حينما جاءت كلمة « نعيم » (بلا ألف ولام) مضافا إليه فقد استخدِمت فى المضاف صيغة المفرد « جنة » وذلك على النحو التالى : « جنة نعيم » (المعارج / ٣٨) . وأما حينما كان المضاف « جنات » (بصيغة الجمع) فقد كان المضاف إليه دائما هو « النعيم » (بالألف واللام) : « جنات النعيم » (المائدة / ٦٥ ، ويونس / ٩ ، والحج / ٥٦ ، ولقمان / ٨ ، والصافات / ٤٣ ، والواقعة / ١٢ ، والقلم / ٣٤) . وحين يكون المضاف هو كلمة « جنات » والمضاف إليه نكرة فإن هذا المضاف إليه

يكون كلمة أخـرى غير « نعيم » ، وهذه الكلمة هى « عَدْن » : « جنات عَدْن » (النحل / ٣١ ، والكهف / ٣١ ، ومريم / ٦١ ، وطه / ٧٦ ، وفاطر / ٣٣ ، والصف / ١٢ ، والبينة / ٨) . أما حينما اجتمعت كلمة « جنات » مع كلمـة « نعيم » (منكرة) فلم تكن العلاقة بينهما هى علاقة الإضافة كما فى الآية التى نقوم بدراستها الآن . وهذان هما الموضعان اللذان اجتمعت فيهما هاتان الكلمتان فى جملـة واحدة : « يبشرهـم ربهم برحمـة منـه ورضـوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم » (التوبــة / ٢١) . « إن المتقين فــى جنــات ونعيم » (الطور / ١٧) .

***

والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يُقْذَفون فى الجحيم .

برغم مجىء عبارة « إن الذين كفروا ... » مرارا فى القرآن لم يحدث أن جاءت بعدها عبارة « من بعد ما كفروا » قط . وإنما الذى فيه هو : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم » (آل عمـران / ٩٠) ، و « إن الذين آمنـوا ثـم كفـروا » (النساء / ١٣٧) .

كذلك لم يحدث قط أن عُطِف فى القرآن « العهد » على « الميثاق » ، فضلا عن أن يكون هذا العطف فى حالة نقضهما . وهذه هى الآيات التى وردا فيها معًا : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » (البقرة / ٢٧) . « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » (الرعد / ٢٠) . « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » (الرعد / ٢٥) .

ثم إنه لم يحدث فى القرآن أن وقع النقض على « ما » المصدرية يتلوها الفعل « عاهد » (أى المصدر المؤول بالصريح) كما ورد فى الآية التى نحللها الآن من سورة « النورين » ، وإنما وقع « النقض » فيه على المصدر الصريح للعهد : « الذين ينقضون عهدهم فى كل مرة » (الأنفال / ٥٦) . « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » (الرعد / ٢٥) .

وأيضا فإن آيتنا هذه تقول : « يُقْذَفون فى الجحيم » ، مع أنه لم يرد فى القرآن بتةً « القذف فى الجحيم » ، وذلك على رغم الكثرة الهائلة لآيات الجحيم فيه . وإليك الآيات التى اشتملت على كلمة « قذف » : « اقذفيه فى التابوت ، فاقذفيه فى اليم » (طه / ٣٩) . « ولكنّا حُمّلنا أوزرا من زينة القوم فقذفناها » (طه / ٨٧) . « بل نقذف بالحق على الباطل » (الأنبياء / ١٨) . « قَذَفَ فى قلوبهم الرعب » (الأحزاب / ٢٦ ، والحشر / ٢) . « ويَقْذِفون بالغيب من مكان بعيد » (سبأ / ٥٣) . « ويُقْذَفون من كل جانب » (الصافات / ٨) . وهى كما ترى تخلو من أى ذكر للقذف فى الجحيم .

***

ظلمــوا أنفسهــم وعصوا لوصّى الرسول . أولئك يُسقَون من حميــم .

برغم ورود الفعل « عَصَى يَعْصِى » فى القرآن الكريم ثلاثا وعشرين مرة فإنه لم يرد البتة متعديا باللام . وأيضا لم تـرد المعصيـة فـى القـرآن إلا للــه أو لرسولــه أو أمره أو أمر شخص ما . أما معصيـة شخصٍ لشخصٍ ما نفسه غير

رسل الله سبحانه فلم ترد .

ثم إن كلمة « وصى » لم تأت قط فى القرآن رغم ورود مادة « وص ى » فيه اثنتين وثلاثين مرة (هكذا : وصَى . وصَيناكم . وصَينا . أوصانى . تُوصُون . يُوصِى . يُوصِيكم . يُوصين . يُوصَى . تواصَوْا . مُوصٍ . وصيّة . توصية) .

وأيضا فإنه لم يُضَف أى شخص للرسول فى القرآن . وهذه هى الآيات التى ورد فيها « الرسول » مضافا إليه ، ومنها يتضح أن المضاف فى هذه الحالة هو « عمل » وليس « شخصا » : « ويتخذ ما ينفق قُرُباتٍ عند الله وصلواتِ الرسول » (التوبة / ٩٩) . « وهمّوا بإخراج الرسول » (التوبة / ١٣) . « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » (النور / ٦٣) . « فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول » (المجادلة / ٨) .

كذلك فمع أن كلمة « أولئك » قد تكررت فى القرآن أكثر من مائة مرة فإن خبرها لم يأت فى أى من هذه المرات فعلا أو اسما مشتقا من « س ق ى » . بل لم يرد فى القرآن قط « يُسْقَوْن من حميم » (بصيغة المضارع المبنى للمجهول) ، وإنما ورد فيه مرة واحدة : « وسُقُوا ماء حميمًا » (بصيغة الماضى) (محمد / ١٥) .

ليس هذا فقط ، بل إن « ظلم النفس » (وقد ورد هنا فى أول الآية) لم يأت فى القرآن على رأس أية آية قط . وهذه هى المواضع التى ورد فيها ، ومنها يتبين ما أقول : « ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه » (الطلاق / ١) .

« قالت : رب إنى ظلمت نفسى » (النمل / ٤٤) . « يا قوم ، إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل » (البقرة / ٥٤) . « قالا : ربنا ، ظلمنا أنفسنا » (الأعراف / ٢٣) . « وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم » (هود / ١٠١) . « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (النحل / ١١٨) . « وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون » (آل عمران / ١١٧) . « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (النحل / ٣٣) . « كمثل ريح فيها صِرٌ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم » (آل عمران / ١١٧) . « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله » (آل عمران / ١٣٥) . « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله » (النساء / ٦٤) . « وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم » (إبراهيم / ٤٥) . « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (البقرة / ٥٧ ، والأعراف / ١٦٠) . « إن الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون » (يونس ٤٤) . « فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (التوبة / ٧٠ ، والروم / ٩) . « وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (العنكبوت / ٤٠) . « ودخل جنته وهو ظالم لنفسه » (الكهف / ٣٥) . « ومن ذريتهما محسنٌ وظالمٌ لنفسه مبين » (الصافات / ١١٣) . « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ... » (النساء / ٧٩) . « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ... » (النحل / ٢٨) .

***

إن الله الذى نوّر السماوات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة والرسل وجعل من المؤمنين * أولئك من خلقه يفعل الله ما يشاء . لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .

رغم ورود لفظ الجلالة فى القرآن قريبًا من ألف مرة فلم يحدث فى حالة وقوعه اسما لـ « إنّ » أن عقبته كلمة « الذى » . وقد وقع اسما لـ « إنّ » عشرات المرات . أما إذا لم يأت اسمًا لـ « إن » فقد يأتى بعده الاسم الموصول : « الله الذى خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء » (إبراهيم / ٣٢) . « الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها » (الرعد / ٢) . « إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو » (طه / ٩٨) . « الله الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام » (السجدة / ٤) . « الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم » (الروم / ٤٠) . « إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » (يونس / ٣) . « الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان » (الشورى / ١٧) . « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره » (الجاثية / ١٢) . « هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة » (الحشر / ٢٢) . « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس » (الحشر / ٢٣) . « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » (النساء / ١) .

وحتى حينما عقبت كلمة « الذى » لفظ الجلالة الواقع اسمًا لـ « أنّ » (بفتح الهمزة لا بكسرها) فقد كان ذلك دائما مع العبارة الآتية : « أو لم يروا

أن الله الذى ... ؟ » ، هكذا : « أولم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ؟ » (الإسراء / ٩٩) . « أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشدّ منهم قوة ؟ » (فصلت / ١٥) . « أولم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض ولم يَعْىَ بخلقهن بقادر على أن يُحْيِى الموتى ؟ » (الأحقاف / ٣٣) .

ومن هذا كله يتضح أن ورود لفظ الجلالة الواقع اسماً لـ « إنّ » متلوا بالاسم الموصول (كما هو فى الآية التى نتناولها الآن بالتحليل) هو شذوذ عن الاستعمال القرآنى .

وبالنسبة للفعل « نوّر » الوارد فى الآية يلاحَظ أنه لم يأت فى القرآن لا هو ولا مضارعه ولا الأمر منه ، بل ليس فى القرآن أى فعل مشتق من « النور » ، بل ليس فيه من مادة « ن و ر » إلا « النار والنور والمنير » .

وإذا كان الفعل « اصطفى » فى « اصطفى من الملائكة والرسل » قد أتى من غير مفعول فإن القرآن لا يعرف مثل هذا التركيب مع هذا الفعل ، إذ لم يرد فيه « اصطفى » أو « يصطفى » قط بغير مفعولهما إلا إذا كان ضميرا عائدا على الموصول . وهذا لم يحدث إلا مرتين : النمل / ٥٩ ، وفاطر / ٣٢ .

أيضا ورد فى الآية التى ندرسها الآن العبارة التالية : « وجعل من المؤمنين » محذوفا منها مفعول « جعل » ، وهو ما لم يحدث قط فى القرآن . وهذه هى المواضع التى ورد فيها الحرف « مِنْ » بعد هذا الفعل كما فى الآية

التى نحن بصددها : « جعل لكم من أنفسكم أزواجا » (النحل / ٧٢) . « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » (النحل / ٧٢) . « جعل لكم من بيوتكم سكنا » (النحل / ٨٠) . « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا » (النحل / ٨٠) . « جعل لكم مما خلق ظلالا » (النحل / ٨١) . « وجعل لكم من الجبال أكنانا » (النحل / ٨١) . « جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » (يس / ٨٠) . « ثم جعل منها زوجها » (الزمر / ٦) . « جعل لكم من أنفسكم أزواجا » (الشورى / ١١) . « وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون » (الزخرف / ١٢) . « فجعل منه الزوجين : الذكر والأنثى » (القيامة / ٣٩) . « فجعلتم منه حراما وحلالا » (يونس / ٥٩) . « وجعلنا منهم أئمة » (السجدة / ٤٢) . « ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة » (الزخرف / ٦٠) .

وحتى لا يقول أحد إن « مِنْ » فى قوله : « وجعل من المؤمنين » زائدة وبالتالى فإن مفعول « جعل » لم يُحْذَف ، نؤكد أنه لم ترد « مِنْ » زائدة فى أى موضع فى القرآن قط إلا فى حالة النفى . وهذه هى المواضع التى وردت فيها : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة » (المائدة / ١٠٣) . « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » (الحج / ٧٨) . « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » (الأحزاب / ٤) . « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » (المائدة / ٦) .

كذلك لم تأت « أولئك » فى القرآن البتة متبوعة بحرف جرّ داخل على اسم مضاف ، فضلا عن أن يكون حرف الجر هذا هو « مِنْ » ، الذى لم يجىء

بعد « أولئك » إلا مرة واحدة رغم تكرر « أولئك » فيه أكثر من مائتى مرة) : « وأولئك من الصالحين » (آل عمران / ١١٤) ، بله أن يكون الاسم المجرور (سواء بـ « مِنْ » أو بغيرها) هو كلمة « خَلْق » .

وإليك الآن أمثلة لورود حرف الجرّ بعد « أولئك » لتلاحظ كيف أن الاسم المجرور غير مضاف : « أولئك لهم عذاب أليم » (آل عمران / ٩١ ، والشورى / ٤٢) . « أولئك كالأنعام ، بل هم أضلّ » (الأعراف / ١٧٩) . « أولئك على هُدًى من ربهم » (البقرة / ٥ ، ولقمان / ٥) . « أولئك فى العذاب مُحْضَرون » (الروم / ١٦) . « أولئك فى جنات مُكْرَمون » (المعارج / ٣٥) .

وفى نهاية تحليلنا لهاتين الآيتين لا ينبغى أن يفوتنا النصّ على ما فيهما من ركاكة شديدة واضطراب تركيب . وهأنذا أعيد كتابتهما ليحكم القارىء عليهما بنفسه : « إن الله الذى نوّر السماوات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة والرسل وجعل من المؤمنينِ * أولئك من خلقه يفعل الله ما يشاء ... » . فهل يرى القارىء أن الآيتين قد قالتا شيئا حين ذكرتا أن الله نوّر السماوات والأرض بما شاء ؟ أليس يرى القارىء أن هذا بالضبط كمن فسّر الماء بعد الجهد بالماء ؟ وما معنى « وجعل من المؤمنين » ؟ ثم أين خبر « إن » ؟ وإذا كان قد حُذِف فما فائدته البلاغية ؟ أم يكون الخبر هو « أولئك من خلقه » ؟ إن بناء الجملة حينئذ سينكسر . وما مغزى النص هنا على أن الملائكة والرسل والمؤمنين من خلق الله ؟ وهل شاكّ أحد فى هذا ؟

***

قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذتهم بمكرهم . إن أخذى شديد أليم .

معنى ذلك أن الله سبحانه قد حذر أعداء على وهددهم ثم لم ينفذ تهديده ، فقد تمت الغلبة لهؤلاء الأعداء ، الذين هم من وجهة نظر من يعتقدون بقرآنية هذه السورة أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، بل وتمت لبنى أمية كلهم من بعد معاوية ثم لبنى العباس من بعدهم . وعندما وصل الفاطميون إلى الحكم (بافتراض أنهم فعلا من سلالة فاطمة عليها رضوان الله) لم يخلدوا فيه ، بل دالت دولتهم مثلهم مثل غيرهم . فما جدوى هذا التهديد إذن ؟

أكثر من ذلك أن هؤلاء الأعداء قد حذفوا ، بناء على هذا الادعاء ، هذه السورة من القرآن ولم يحدث لهم شيء .

وبالنسبة لاستخدام الفعل « مكر » فى القرآن فعلى رغم مجيئه فيه إحدى عشرة مرة فقد ورد فى هذه المرات كلها عاريًا عن ذكر الممكور به : « ومكروا ومكر الله . والله خير الماكرين » (آل عمران ٥٤) . « قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد » (النحل / ٢٦) . « إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها » (الأعراف / ١٢٣) . « ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون » (النمل / ٥٠) . « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض ؟ » (النحل / ٤٥) . « فوقاه الله سيئات ما مكروا » (غافر / ٤٥) . « ومكروا مكرا كبّارا » (نوح / ٢٢) . « وقد مكروا مكرهم

وعند الله مكرهم » (إبراهيم ٤٦) ... إلخ .

كذلك يلاحظ أن المصدر « أخذ » قد أضيف فى الآية التى نقوم بتحليلها إلى « ياء المتكلم » ، وهو ما لم يحدث فى القرآن البتة ، سواء كان الآخذ هو الله سبحانه أو غيره . وفى حالة الله سبحانه فقد أضيف هذا المصدر إلى اسم ظاهر : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة » (هود / ١٠٢) . « فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » (القمر / ٤٢) ، أو إلى « هاء الغائب » » : « إن أخذه أليم شديد ») (هود / ١٠٢) .

***

إن الله قد أهلك عادا وثمودًا بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون .

فى هذه الآية والتى تليها مقارنة ضمنية بين عاد وثمود وفرعون وبين من جحدوا وصاية على . وهذه مقارنة مجحفة لا معنى لها ، فإن أولئك قد كفروا بالله ورسله وحاربوهم ، أما هؤلاء فقد وقفوا مع الإسلام ورسوله وجاهدوا معه . ولو افترضنا صدق زعم الذين وضعوا هذه السورة فكل ما فعله هؤلاء هو أنهم جحدوا وصاية على ، وهى لا يمكن أن تكون من أركان الدين . بل إن الإسلام هو دين الشورى ، وتوريث الحكم طعنة لأهم تطبيقات الشورى ، وهو استشارة الأمة فيمن يحكمها .

أما من الناحية الأسلوبية فلم يرد فى القرآن قط هذا التركيب : « إن الله قد ... » ، فضلا عن أن يكون قد ورد فيه « إن الله قد أهلك ... » . وأيضا لم

تـرد فيـه عـاد وثمـود أو أيـة أمتيـن (أو أكثـر) معطوفتيـن مفعوليـن لـ « أهلك » قط إلا فـى قولـه تعالـى : « وأنـه أهلك عـادا الأولـى * وثمود فما أبقى » (النجم / ٥٠ - ٥١) . ولكنّ هناك مـع ذلـك فرقين مهمين : الأول أن « عادًا » لم تأت عاريـة عـن الوصف بـل وصفـت بـ « الأولى » . والثانـى أن « ثمـود » قـد أتــت على رأس الآية الأخرى لا فى نفس الآية التى ذُكرت فيها (عاد) . ومع هذا فـ « ثمود » تقبل أيضا أن تكون منصوبة على « الاشتغال » . كذلك لم ترد « ثمود » منوّنة فى القرآن قط .

***

وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هـارون أغْرَقْتُه ومن تبعه أجمعين .

لم يرد الفعل « طغى » فى القرآن متلوًا بـ « على » لايصاله إلى المفعول ، بل فى كل المواضع التى جاء فيها جاء مطلقا (أى بلا أىّ مفعـول) ، وذلك رغم وروده هو ومشتقاته حوالى ثلاثين مرة ، ما بين فعل ماضٍ ومضارع ومصدر واسم فاعل . وهذه بعض أمثلة توضح ما أقول : « اذهب إلى فرعون . إنه طغـى » (طــه / ٢٤) . « مـا زاغ البصـر وما طغـى » (النجـم / ١٧) . « وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا فى البلاد » (الفجر / ١١) . « كلا . إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى » (العلق / ٦) . « أتواصَوْا به ؟ بل هم قوم طاغـون » (الذاريات / ٥٣) . « قالـوا : يـا ويلنـا ! إنـا كنـا طاغيـن » (القلم / ٣١) . « اللـه يستهـزئ بهـم ويمدهـم فـى طغيانهم يعمهون »

(البقرة / ١٥) .

هذا عن « طغى على ... » . أما بالنسبة لـ « أغْرَقْتُ » فالملاحظ أن الفعل « أغرق » لم يجىء فى القرآن قط مسندا إلى « تاء المتكلم » (بل ولا إلى أى تاء للفاعل) . وفى كل مرة يتحدث الله عن نفسه بوصفه المغرق نجده سبحانه يستخدم « نا » الفاعلين . وقد تكرر ذلك ثلاث عشرة مرة ، وهذه أمثلة ثلاثة منها : « وأغرقنا آل فرعون » (البقرة / ٥٠) . « ومنهم من أغرقنا » (العنكبوت / ٤٠) . « فأغرقناهم أجمعين » (الزخرف / ٥٥) .

ثم إن الآية تقول إنه سبحانه قد أغرق فرعون ومن تبعه أجمعين ، مع أن الذين غرقوا مع فرعون لم يكونوا كل أتباعه بل الجيش الذى طارد به موسى وبنى إسرائيل فقط .

***

ليكون لكم آية ، وإن أكثركم فاسقون .

من المخاطب بقوله : « إن أكثركم فاسقون » ؟ أهم المؤمنون ؟ فكيف يكون فيهم فاسقون بله أن يكون أكثرهم فاسقين ؟ أهم الكافرون ؟ فكيف يكون منهم غير فاسقين (بمفهوم الآية) ؟ إلا إذا قلنا إن المقصود هم أصحاب النبى (الذين كفروا بناء على اعتقاد من يزعمون أن هذه السورة من القرآن) ، وإذن فكيف يكون أكثرهم فقط فاسقين وليسوا كلهم (اللهم إلا نفرا ضئيلا فى اعتقاد المؤمنين بهذه السورة لا يَعُدُّون شيئا) ؟

***

إن الله يجمعهم فى يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يُسألون .

إيراد كلمة « يوم » بعد الفعل « يجمع » من غير دخول « اللام » أو « إلى » عليها يخالف طريقة القرآن ، الذى لم يستخدم قط كلمة « يوم » (أو ما فى معناها) فى هذا السياق إلا مسبوقة بأحد هذين الحرفين : « فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ؟ » (آل عمران / ٥) . « يوم يجمعكم ليوم الجمع » (التغابن / ٩) . « ليَجْمَعنَّكم إلى يوم القيامة » (الأنعام / ١٢) . « فجُمِع السحرة لميقات يوم معلوم » (الشعراء / ٣٨) .

ثم إنه لم يرد فى القرآن قط تعبير « فى يوم الحشر » ، وإنما جاء فيه « ليوم الجمع » ، وذلك فى قوله تعالى : « يوم يجمعكم ليوم الجمع » ، الذى من الواضح أن مؤلف هذه السورة قد وضعه نصب عينه وهو يصوغ هذه الآية . وعلى أى حال ، فهذان هما الموضعان اللذان وردت فيهما كلمة « حشر » فى القرآن كلّه : « ذلك حشر علينا يسير » (ق / ٤٤) . « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحَشْر » (الحشر / ٢) .

كذلك لم ترد كلمة « جواب » فى القرآن معرّفة بالألف واللام ، وإنما جاءت فى المرات الأربع التى وردت فيها مضافة إلى « قومه » (فى هذا التركيب : « فما كان جواب قومه إلا أن قالوا : ... » : الأعراف / ٨٢ ، والنمل / ٥٦ ، والعنكبوت / ٢٤ ، ٢٩) .

ويتبقى من الآية التى نحن بصدد تحليلها قوله : « حين يُسألون » ،

الذى ورد فيه السؤال بعد « حين » ، وهو ما لم يحدث قط فى القرآن ، إذ برغم ورود الفعل « سأل » (بصيغة الماضى والمضارع) فيه عشرات المرات فإنه لم يرد بعد كلمة « حين » فى أى منها .

***

إن الجحيم مأواهم ، وإن الله عليم حكيم .

وردت كلمة « مأوى » فى القرآن اثنتين وعشرين مرة : أربع مرات منها معرّفة بـ « أل » ، وفى الباقى مضافة إلى ضمير : « مأواكم » (٣ مرات) ، و « مأواه » (٣ مرات) ، و « مأواهم » (١٢ مرة) . وقد لاحظت أنها حين تأتى مضافة فإنها لا تكون إلا مبتدأ : « ومأواكم النار » (العنكبوت / ٢٥ ، والجاثية / ٣٤) . « مأواكم النار » (الحديد / ١٥) . « ومأواه جهنم » (آل عمران / ١٦٢ ، والأنفال / ١٦) . « ومأواه النار » (المائدة / ٧٢) . « ومأواهم النار » (آل عمران / ١٥١ ، والنور / ٥٧) . « ثم مأواهم جهنم » (آل عمران / ١٩٧) . « فأولئك مأواهم جهنم » (النساء / ٩٧) . « أولئك مأواهم جهنم » (النساء / ١٢١) . « ومأواهم جهنم » (التوبة / ٧٣ ، ٩٥ ، والرعد / ١٨ ، والتحريم / ٩) . « أولئك مأواهم النار » (يونس / ٨) . « فمأواهم النار » (السجدة / ٢٠) ، أى أنها فى حالة الإضافة لم تأت خبرا قط ، على عكس العبارة موضوع تحليلنا : « إن الجحيم مأواهم » . أما حين أتت خبرا (أو مضافا إليها الخبر) فكانت غير مضافة : « فلهم جنات المأوى » (السجدة / ١٩) . « عندها جنة المأوى »

(النجـم / ١٥) . « فـإن الجحيـم هى المأوى » (النازعات / ٣٩) . « فإن الجنـة هـى المـأوى » (النـازعـات / ٤١) . ومـن هـذا يتبين أن استعمال كلمـة « مـأوى » فـى الآيـة التى معنا استعمال غير قرآنى .

***

يا أيها الرسول ، بلّغ إنذارى . فسوف يعلمون .

يلاحظ أنه رغم ورود مشتقات مادة « نذ ر » ١٣٠ مرة فى القرآن فلم تأت فيه قط كلمة « إنذار » ، مع أن ماضى هذا المصدر ومضارعه قد تكررا خمسا وأربعين مرة ، إلى جانب تكرر اسم الفاعل منه « مُنذِر » أكثر من عشرين مرة .

كذلـك ففـى كل المرات التى ورد فيها الفعل « بلّغ » (بتشديد اللام) أو « أبلغ » كان مفعوله دائما (٣) هو كلمة « رسالة » أو « رسالات » أو « ما » الموصولة (ومعها الفعل « أرسِل » أو « أنزِل ») . وها هى ذى الآيات التى ورد فيهـا هـذان الفعـلان : « يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزِل إليك من ربك ، وإن لم تفعـل فمـا بلّغـت رسالتـه » (المائـدة / ٦٧) . « أبلّغكم رسالات ربـى » (الأعراف / ٦٢) . « وأبلّغكم ما أرسِلت به » (الأحقاف / ٢٣) . « الذين يبلّغـون رسالات الله » (الأحزاب ٣٩) . « وقال : يا قوم ، لقد أبلغتكم رسالة ربى » (الأعراف / ٧٩) . « وقـال : يا قـوم ، لقـد أبلغتكـم رسـالات ربـى » (الأعـراف / ٩٣) . « فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسِلت به إليكـم » (هـود / ٥٧) . « ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم » (الجن / ٢٨) . ومـن

هذا يتضح أنه لم يرد البتة فى القرآن « بلّغ إنذارى (أو تهديدى أو تخويفى أو تحذيرى) » .

أما فيما يتعلق بقوله : « فسوف يعلمون » فقد وردت هذه العبارة فى القرآن ست مرات ، ولكن فى كل مـــرة كان موقف الكفار يُذْكَر قبلها مباشرة :

« ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويُلهِهم الأمل ، فســوف يعلمـــون » (الحجر / ٣) .

« الذيــن يجعلـــون مـع الله إلها آخر ، فسوف يعلمــون » (الحجر / ٩٦) .

« ليكفــروا بما آتيناهم وليتمتعــوا ، فســوف يعلمـون » (العنكبـوت / ٦٦) .

« فكفروا به ، فسوف يعلمون » (الصافات / ١٧٠) . « الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ، فسوف يعلمون » (غافر / ٧٠) . « وقيله : يا رب ، إن هــؤلاء قوم لا يؤمنون * فاصفح عنهم وقـل : سـلام ، فســوف يعلمــون » (الزخرف / ٨٨ - ٨٩) .

نخلص من هذا بأن هذه العبارة لم ترد فى القرآن قط عقب أمر بالتبليغ أو ما يشبهه ، كما هو الحال فى الآية التى بين أيدينا ، بل تُعْطَى للكفار أوّلا فرصة لفهم الشىء المبلَّغ ، فإذا أصرّوا على عصيانهم وعتوّهم وكفرهم فعندئذ يذكر القرآن موقفهم هذا ، ثم يعقب بهذا التهديد الموجز الحاسم .

***

قد خسر الذين كانوا عن آياتى وحكمى معرضون (٤) .

على رغم ورود كلمة « حُكْم » فى القرآن ٣٠ مرة فإنها لم تأت مضافة إلى ضمير المتكلم وإنما فى المرات التى أُضيفـت فيهـا (وعددهـا خمس) كانت

إضافتها دائما إلى ضمير الغيبة : « والله يحكم لا معقّب لحكمه » (الرعد / ٤١) . « ولا يشرك فى حكمه أحدا » (الكهف / ٢٦) . « إن ربك يقضى بينهم بحكمه » (النمل / ٧٨) . « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله » (الشورى / ١٠) . « وكنا لحكمهم شاهدين » (الأنبياء / ٧٨) .

كذلك فإنه لم تُعْطَف فى القرآن كلمة « حُكْم » على كلمة « آيات » ، بل لم تقترنا أصلا مجرد اقتران ، وإنما يقترن « الحكم » فيه (حين يقترن) بـ « الكتاب والنبوة » أو « العِلْم » : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ... » (آل عمران / ٧٩) . « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (الأنعام / ٨٩) . « ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة » (الجاثية / ١٦) . « ولما بلغ أشُدّه آتيناه حكما وعلما » (يوسف / ٢٢) . « ولوطا آتيناه حكما وعلما » (الأنبياء / ٧٤) . « وكلًّا آتيناه حكما وعلما » (الأنبياء / ٧٩) . « ولمّا بلغ أشُدّه واستوى آتيناه حكما وعلما » (القصص / ١٤) (٥) .

ليس هذا فحسب ، بل إنه فى كل العبارات التى وردت فى القرآن عن الإعراض عن الآيات لم تُضَف « الآيات » البتة إلى « ياء المتكلم » ، بل أتت إما مفردة أو مضافة إلى كلمة « ربهم » أو « نا » الفاعلين أو « ها » الغائبة . وإليك بعض أمثلة ذلك فى القرآن : « وكم من آية فى السماوات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون » (الأنبياء /٣٢) . « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين » (الأنعام / ٤ ، ويس / ٤٦) . « وآتيناهم آياتنا فكانوا

عنها معرضين » (الحجر/٨١). « وهم عن آياتها معرضون » (الأنبياء / ٣٢).

وفوق ذلك فإنه لم يرد قط ، كما هو واضح ، الاسم الموصول « الذين » (ولا أى اسم موصول آخر) فى أى من العبارات التى ذكرت الإعراض عن الآيات .

***

مَثَل الذين يوفون بعهدك إنى جزيتهم جنات النعيم .

على رغم ورود كلمة « عهد » فى القرآن قريبا من ثلاثين مرة فإنها لم تأت قطّ مضافة إلى « كاف » الخطاب كما أتت فى الآية الحالية .

وعلاوة على ذلك فإن عبارة « مَثَل الشىء الفلانى ... » لم ترد فى القرآن قط فى المرات التى قاربت العشرين إلا وذُكِر معها المشبه به (هكذا : « مثل الشىء الفلانى كمثل كذا » أو « مثله ككذا ») ، إلا فى حالة « مَثَل الجنة ... » ، التى وردت مرتين اثنتين لا غير ، وفى هاتين المرتين لم تأت « إن » بعد قوله « مثل الجنة » على عكس ما هو موجود فى آيتنا هذه . وهذان هما الموضعان المشار إليهما : « مَثَل الجنة التى وُعِد المتقون تجرى من تحتها الأنهار » (الرعد / ٣٥) . « مَثَل الجنة التى وُعِد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن » (محمد / ١٥) .

***

إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم .

أولا : لم يحدث أن ورد فى القرآن قطّ : « إن الله لذو مغفرة » .

ثانيا : لم يأت فى القرآن « ذو كذا وكذا » (بمضاف إليه ومعطوف عليه) ، بل كل الأمثلة التى وردت فيها « ذو » كانت : « ذو كذا » فقط . وهذه هى المواضع التى أتت فيها : « والله عزيز ذو انتقام » (آل عمران / ٤ ، والمائدة / ٥٩) . « وربك الغنى ذو الرحمة » (الأنعام / ٣٣) . « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب » (الرعد / ٦) . « وربك الغنى ذو الرحمة » (الكهف / ٥٨) . « رفيع الدرجات ذو العرش » (غافر / ١٥) . « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (الذاريات / ٥٨) . « علّمه شديد القوى * ذو مِرّة » (النجم / ٥ - ٦) . « وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد » (البروج / ١٤ - ١٥) . « قرآنا عربيا غير ذى عوج » (الزمر / ٢٨) . « أليس الله بعزيز ذى انتقام ؟ » (الزمر / ٣٧) . « غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول » (غافر / ٣) . « إنه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين » (التكوير / ١٩ - ٢٠) . والمرة الوحيدة التى حدث فيها عطف بعد « ذو كذا » تكررت فيها « ذو » : « إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم » (فصلت / ٤٣) . وحتى هنا فإننا نلاحظ أن الصفتين متقابلتان : « ذو مغفرة ، وذو عقاب أليم » ، وليستا متقاربتين كما هو الحال فى الآية التى نحن بصدد الحديث عنها : « ذو مغفرة وأجر عظيم » .

***

إن عليًا من المتقين .

بغض النظر عن أن أى مسلم غير « زيد » لم يرد ذكره فى القرآن ، فإن

عبارة « إن فلانا من المتقين » لا وجود لها فى القرآن ، وإنما ورد فيه « إن فلانا لمن المرسلين » . وقد تكررت هذه العبارة ثلاث مرات : « وإن إلياس لمن المرسلين » ، « وإن يونس لمن المرسلين » ، « وإن لوطا لمن المرسلين » (الصافات / ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٣٩) .

***

وإنا لنوفيه حقه يوم الدين .

لم يرد الفعل « وفَّى يوفِّى » ولا اسم الفاعل منه فى القرآن إلا واقعا على الحساب أو الأعمال أو الأجور أو ماكسبته النفس أو عملته أو ما ينفقه البشر من خير أو ما يحصلون عليه من نصيب ، ولم تأت فيه « توفية الحق » قط . وهذه أمثلة مما ورد فى القرآن فى هذا الموضوع للتوضيح : « ووجد الله عنده فوفّاه حسابه » (النور / ٣٩) . « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها » (هود / ١٥) . « يومئذ يوفّيهم الله دينهم الحقَّ » (النور / ٢٥) . « ليوفّيهم أجورهم » (فاطر / ٣٠) . « ووُفِّيَتْ كل نفس ما كسبت » (آل عمران / ٢٥) . « وما تنفقوا من خير يُوَفَّ إليكم » (البقرة / ٢٧٢) . « وإنا لموفّوهم نصيبهم غير منقوص » (هود / ١٠٩) .

***

وكرّمناه على أهلك أجمعين .

لم يُسْتَخْدَم الفعل « كرّم » قط فى القرآن على لسان المولى سبحانه واقعا على شخص بعينه . إنما ورد هذا الفعل مرة واحدة فى القرآن لا غير لبنى آدم

جميعًا : « ولقد كرّمنا بنى آدم » (الإسراء / ٧٠) .

كذلك لم ترد فــى القــرآن البتــة كلمة « أجمعيــن » (أو « جميعًا » أو « كلهم » ... إلخ) بعد كلمة « أهلك » ، رغـم ورود هــذه الأخيرة فيه تسع مـرات . إنما وردت بعد « أهلكم » و « أهله » : « وأتونى بأهلكم أجمعيــن » (يوسف / ٩٣) . « فنجيناه وأهله أجمعين » (الشعراء / ١٧٠) . « إذ نجيناه وأهله أجمعين » (الصافات / ١٣٤) .

وأخيرا ، هل يُعقل أن يكرّم علىّ تكريما يضعه حتى فوق فاطمة ، وهى ابنة النبى عليه الصلاة والسلام ؟

***

فإنه وذريته لصابرون .

هل يكون علىّ كرم الله وجهه عند الله أفضل من إبراهيم أبى الأنبياء عليه السلام ؟ لقد طلب عليه السلام من ربه أن يجعل من ذريته إماما للناس مثلما كان هو إماما ، فكان رد المولى جل جلاله عليه هو : « لا ينال عهدى الظالمين » (البقرة / ١٢٤) (٦) . أما ذرية علىّ فهم على هذا الاعتقاد صابرون جميعهم بلا استثناء ، كأنه لن يكون فيهم ضجِر أو ضعيف العزم بله فاجرًا أو كافرًا . إن هذا ضد طبيعة الأمور والأشياء .

كذلك لم ترد فى القرآن قط هذه العبارة : « فإنه وذريته لصابرون » ، بل حتى ولا قالبها التركيبى : «فإنه وذويه لفاعلون » ، أيا كانت الكلمات التى تملأ ذا القالب . بل لا تقابلنا كلمة « الصابرون » فــى القــرآن أبــدا خبرا لـ « إنّ » ،

رغم ورود « الصابرون » و « الصابرين » ١٨ مرة في .

***

قل للذين كفروا بعدما آمنوا : طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعَدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها . وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون .

الآية تأمر النبى عليه الصلاة والسلام أن يقول للذين كفروا (أى لأبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم ممن اغتصبوا حق على فى نظر من يعتقدون فى قرآنية هذه السورة) : « طلبتم زينة الحياة الدنيا ... إلخ » . ولكن لم يحدث فى الواقع أن قال لهم النبى عليه السلام ذلك لا بلسان المقال ولا بلسان الحال ، وظل إلى آخر حياته يحبّهم ويقرّبهم . فهل نفهم من هذا أنه عليه الصلاة والسلام لم يبلّغ ما أنزل إليه من ربه وأنه إذن لم يقم بواجب الرسالة التى انتدبه الله لها ؟ أم ماذا ؟

أما قوله : « كفروا بعدما آمنوا » فقد سبق أن تناولنا شبيهه من قبل ، فلا داعى من ثم لإعادة ما قلناه .

وبالنسبة لقوله : « طلبتم زينة الحياة الدنيا » فإنه لم يحدث أن ورد فى القرآن الفعل « طلب » مع « زينة الحياة الدنيا » ، بل دائما ما يستخدم معها القرآن الفعل « يريد » : « ولا تعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » (الكهف / ٢٨) . « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوَفِّ إليهم أعمالهم

فيها » (هود / ١٥) . « إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالَيْن أمتعكن وأسرّحكن سراحًا جميلاً » (الأحزاب / ٢٨) .

وإذا كانت الآية هنا تقول عن الكافرين : « واستعجلتم بها » (أى بزينة الحياة الدنيا) فاعلم أن الاستعجال لم يأت فى القرآن مطلقا بالنسبة للكافرين ، سواء كانوا هم المستعجلين أو كان الرسول عليه السلام هو المستعجل ، إلا وهو استعجال عذاب لا استعجال زينة أو غيرها من طيبات الحياة الدنيا . وقد تكرر ذلك فى القران تسع عشرة مرة . وهذه أمثلة منها : « بل هو ما استعجلتم به : ريح فيها عذاب أليم » (الأحقاف / ٢٤) . « ما عندى ما تستعجلون به » (٧) (الأنعام / ٥٧) . « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ولا تستعجل لهم » (الأحقاف / ٣٥) . « قل : لو أن عندى ما تستعجلون به لقُضِى الأمر بينى وبينكم» (الأنعام / ٥٨) . «أفبعذابنا يستعجلون ؟ » (الشعراء / ٢٠٤ ، والصافات / ١٧٦) . « ويستعجلونك بالعذاب » (الحج / ٤٧ ، والعنكبوت / ٣) . « ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات » (الرعد / ٦) .

وإلى جانب هذا فإن الآية التى ندرسها هنا تقول : « ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله » ، أمّا القرآن فلم يأت فى أى موضع منه « النسيان » واقعًا على « الوعد » أىّ وعد .

وأيضا لم ترد كلمة « العهود » فى أى موضع من القرآن ، رغم أن مفردها « عهد » قد تكرر فيه نحو ثلاثين مرة . كذلك لم تأت فيه كلمة « العهد »

بالألف واللام عقب فعل النقض ، بل إن صيغة الماضى « نَقَضَ » لم تأت مع « العهد » بتاتا ، وإليك الشواهد : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » (البقرة / ٢٧) . « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة » (الأنفال / ٥٦) . « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » (الرعد / ٢٠) .

***

يا أيها الرسول ، قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها : من يتوفاه مؤمنا ومن يتولاه من بعدك يُظْهَرون .

لم تجىء فى القرآن « قد » بعد « يا أيها الرسول » ولا حتى بعد « يا أيها النبى » قطّ . وها هى ذى الآيات التى ورد فيها هذان النداءان : « يا أيها الرسول ، لا يَحْزُنْك الذين يسارعون فى الكفر » (المائدة / ٤١) . « يا أيها الرسول ، بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك » (المائدة / ٦٧) . « يا أيها النبى ، حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » (الأنفال / ٦٤) . « يا أيها النبى ، حرّض المؤمنين على القتال » (الأنفال / ٦٥) . « يا أيها النبى ، قل لمن فى أيديكم من الأسرى : إنْ يَعْلَمِ الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أُخذ منكم » (الأنفال / ٧٠) . « يا أيها النبى ، جاهد الكفار والمنافقين » (التوبة / ٧٣ ، والتحريم / ٩) . « يا أيها النبى ، اتق اللّه ولا تطع الكافرين والمنافقين » (الأحزاب / ٢٨) . « يا أيها النبى ، قل لأزواجك : إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالَيْنَ أمتّعكن » (الأحزاب / ١) . « يا أيها النبى ، إنا أرسلناك

شاهدا ومبشرا ونذيرا » (الأحزاب / ٤٥) . « يا أيها النبى ، إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن » (الأحزاب / ٥٠) . « يا أيها النبى ، قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » (الأحزاب / ٥٩) . « يا أيها النبى ، إذا جاءك المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن » (الممتحنة / ١٠) . « يا أيها النبى ، إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » (الطلاق / ١) . « يا أيها النبى ، لِمَ تحرّم ما أحلّ الله لك ؟ » (التحريم / ١) (٨).

ثم إن فى قوله : « من يتوفاه مؤمنا ومن يتولاه من بعدك يُظهَرون » ركاكة شديدة ، إذ المفروض أن الفاعل فى « يتوفاه » هو الله ، ومفعوله هو الضمير العائد على الإنسان الذى سيموت مؤمنا ، على حين أن الفاعل فى « يتولاه » هو الإنسان الذى يؤمن بوصاية على ، ومفعولَه هو الضمير العائد على علىّ كرم الله وجهه ، وهذان متخالفان مع ذينك . وأيضا فإنه لم يسبق ذكر الله ولا علىّ . وإذا كنتُ قد أرجعتُ كل ضمير إلى مرجعه فقد تم ذلك اعتمادا على السياق الذى ورد فيه النص لا غير . ثم ما معنى « يُظهَرون » ؟ أهى مشتقة من « الظهور » ، أى الخروج من الخفاء إلى العلن ؟ فما معنى ذلك ؟ ما معنى أن الله سيُظهِر الذى يموت على الإيمان وكذلك الذى يتولى عليا بعد وفاة الرسول عليه السلام ؟ أم معناها « يُنصَرون » ؟ ولكن القرآن لم يستخدم « الإظهار » بمعنى النصر إلاّ لدينه ، الذى قال فيه فى ثلاثة مواضع : « ليُظهِره على الدين كله » (التوبة / ٣٣ . والفتح / ٢٨ ، والصف / ٩) ، ولم يستخدم هذا الفعل

بهذا المعنى لواحد من البشر .

كذلك فقد ورد الفعلان المضارعان (« يتوفاه » و « يتولاه ») مرفوعين فــى النــصّ الذى ورد فى كتاب إحسان إلهى ظهير . وهذا مخالـف لأسلـوب القرآن ، الذى يُجْزَم فيه المضارع فى مثل هذه الحالة .

***

فأَعْرِضْ عنهم ، إنهم مُعْرِضون .

لقـد وردت كلمـة « معرضـون » (بالرفـع) فى القرآن أربع عشرة مرة (٩) ، ومـع ذلـك فلـم تـأت فـى إحـدى هذه المرات الأربع عشرة خبرًا لـ « إنَّ » ، بل جاءت فى كل هذه المواضع خبرا لمبتدإ . ومن الواضح أن كاتب هـذه السـورة كـان فـى ذهنه وهو يؤلف الآية الحاليـة أصداء قولـه تعالى : « فأعْرِض عنهـم وانتَظِـر ، إنهـم منتظـرون » ، ولكنـه حـذف فعـل الانتظـار ، واستبدل باسم الفاعل منه اسم فاعل من الفعل « أعرض » ، وهو ما لم يرد فى أى موضع من القرآن .

***

إنـا لهـم مُحْضِـرون * فـى يـوم لا يُغْنِـى عنهـم شـىء ولا هـم يُرْحَمُون .

لم يجىء فى القرآن البتة اسم الفاعل من « أحضر » ، وإنما جاء فيه اسم المفعــول منــه (عدة مرات : مرة مفردا ، وتسعا جمعا) : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مُحْضَـرا » (آل عمران / ٣٠) . « فأولئـك فـى العـذاب

مُخضَرون » (الروم / ١٦) . « أولئك فى العذاب مُخضَرون » (سبأ / ٣٨) . «وإنْ كلٌّ لمّا جميعٌ لدينا مُحْضَرون » (يس / ٣٢) . « فإذا هم جميع لدينا مُحْضَرون » (يس / ٥٣) . « وهم لهم جُنْدٌ مُحْضَرون » (يس / ٧٥) . « فكذّبوه فإنهم لَمُحْضَرون » (الصافات / ١٢٧) . « ولقد علمت الجِنّة إنهم لَمُحْضَرون (الصافات / ٥٨) . « ثم هو يوم القيامة من المُحْضَرين » (القصص / ٦١) . « ولولا نعمة ربى لكنت من المُحْضَرين » (الصافات / ٥٧) .

كذلك فقد وردت كلمة « شىء » فى قوله : « فى يوم لا يُغْنِى عنهم شىء » فاعلاً للفعل « يُغْنِى » . وهذا لم يقع قط فى القرآن الكريم ، فما من جملة جاءت فيها « شىء » مع « أغنى / يُغنى » أو مع اسم فاعله إلا وكانت « شىء » منصوبة أو مجرورة بـ « مِنْ » . وقد حدث هذا عشرين مرة : « فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء » (الأحقاف / ٢٦) . « فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء » (هود / ١٠١) . « وما أُغْنِى عنكم من الله من شىء » (يوسف / ٧٦) . « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغْنِ عنكم شيئا » (التوبة / ٢٥) . « إن يُرِدْنِ الرحمنُ بِضرّ لا تُغْنِ عنى شفاعتهم شيئا » (يس / ٢٣) . « لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا » (آل عمران / ١٠ ، ١١٦ ، والمجادلة / ١٧) . « ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا » (الأنفال / ١٩) . « وكم من مَلَك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئا » (النجم / ٢٦) . « إنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئا »

(الجاثية / ١٩) . « ما كان يغنى (١٠) عنهم من الله من شىء » (يوسف / ٦٨) . « لِمَ تعبدُ ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ؟ » (مريم / ٤٢) . « يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا » (الدخان / ٤١) . « ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا » (الجاثية / ١٠) . « يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا » (الطور / ٤٦) . « وإن الظن لا يغنى من الحقّ شيئا » (النجم / ٢٨) . « فلم يُغْنِيا عنهما من الله شيئا » (التحريم / ١٠) . « فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء ؟ » (إبراهيم / ٢١) .

وإلى جانب ذلك فليس فى القرآن كلّه « يُرْحَمُون » بالبناء للمجهول ، بل ليس فيه أى ماض أو مضارع مشتق من « الرحمة » ومسند إلى ضمير غيبة مبنيا للمجهول .

***

إن لهم فى جهنم مقامًا عنه لا يعدلون .

لم يُسْتَخْدَم الفعل « يعدل » ولا مصدره فى القرآن بمعنى « التحول عن مكان إلى مكان » ، وإنما أتى بمعنى : ١- العدل الذى هو ضد الظلم . ٢- والعدل الذى هو بمعنى التسوية (سواء : أ- بمعنى جعل الشىء سليما منتظما ب- أو بمعنى تسوية شىء بشىء) ٣- والعدل الذى هو بمعنى المماثلة . والأمثلة التالية توضح ما نقول :

١- « ولْيَكْتُب بينكم كاتب بالعدل » (البقرة / ٢٨٢) . « وإذا حكمتم

بين الناس أن تحكموا بالعدل » (النساء / ٥٨) .

٢ (أ) - « الذى خلقك فسوّاك فعدلك » (الانفطار / ٧) .

٢ (ب) - « ثم الذين كفروا بربهم يَعْدِلون » (الأنعام / ١) . « والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون » (الأعراف / ١٥٠) .

٣- « فجزاءٌ مثلُ ما قَتَل من النَّعَم ... أو عَدْل ذلك صياما » (المائدة / ٩٥) .

وبالإضافة إلى ذلك فلم يستخدم فيه مع هذا الفعل قطّ حرف الجر « عن » ، رغم ورود هذا الفعل (ماضيا ومضارعا وأمرا) ومصدره ٢٨ مرة .

***

فسبّح باسم ربك وكن من الساجدين .

أولا : عبارة « سبح باسم ربك » لم ترد إلا فى الوحى المكى (الواقعة / ٧٤ ، ٦٩ ، والحاقة / ٥٢ ، والأعلى / ١) ، على حين يُفتَرض أن السورة التى ندرسها هى سورة مدنية كما وضحنا من قبل .

ثانيا : فى الآية التى بين أيدينا نجد أنه قد عُطِف على جملة « سبّح اسم ربك » جملة أخرى (هى جملة « كن من الساجدين ») ، أما فى القرآن فقد جاءت جملة « سبّح اسم ربك » فى كل المواضع غير معطوف عليها شىء .

ثالثا : وردت كلمة « ربك » فى الآية التى نحن بصددها غير منعوتة ، على عكسها فى العبارة القرآنية ، إذ وردت فى كل المواضع موصوفة : ثلاث مرات بـ « العظيم » ، ومرة بـ « الأعلى » .

***

ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استُخْلِف فبَغَوْا هارون ، فصبر جميل ، فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنّاهم إلى يوم يبعثون .

لا يخفى ما فى هذه الآية من ركاكة ، وبخاصة هذا الاستخدام المتوالى لـ « الفاء » ، وفى استخدام الفعل « بَغى » (بمعنى « ظلم ») متعديا إلى المفعول بدون حرف الجرّ « على » ، وهو ما لم يرد فى القرآن . وها هى ذى الشواهد القرآنية : « إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم » (القصص / ٧٦) . « بَغَى بعضنا على بعض » (ص / ٢٢) . « فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تَبْغِى » (الحجرات / ٩) . « وإن كثيرا من الخُلَطاء ليَبْغِى بعضهم على بعض » (ص / ٢٤) . « ذلك ، ومَنْ عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغِى عليه لينصرنّه الله » (الحج / ٦٠) .

وفضلاً عن ذلك لم تُذكر « اللعنة » فى القرآن متصلة إلى يوم القيامة إلاّ بالنسبة لإبليس : « وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين » (الحجر / ٣٥) . « وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين » (ص / ٧٨) . ويلاحظ أن التعبير المستخدم فى المرتين هو « إلى يوم الدين » ، وليس « إلى يوم يُبْعَثون » كما هو فى الآية التى بين أيدينا . كذلك فإن الكلمة المستخدمة فى الموضعين هى المصدر « لعنة » ، وليس الفعل كما فى الآية التى ندرسها .

***

ولقد آتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين .

هذا كلام ركيك ليس فيه من مسحة القرآن شيء ، علاوة على أن الواقع يكذّبه ، فالمفروض أن المقصود هو أن الله سبحانه قد آتى الحكم عليا وذريته بوساطة النبى عليه السلام . ولكن الذى حدث هو أن أبا بكر وعمر وعثمان قد تولوا الخلافة بعد النبى عليه الصلاة والسلام قبل أن يتولاها على . أما بالنسبة لذرية على فلم يصلوا إلى الحكم إلا بعد ذلك بعدة مئات من السنين (إن كان الفاطميون فعلا ذريته ، وفى ذلك شك كبير) ، ولم تستمر دولتهم مع ذلك أطول من مثيلاتها من الدول الإسلامية ، بل لم تعمّر فى الحكم تعمير العباسيين مثلا . ومعنى ذلك أنه لم يكن فى وصول على هو وذريته إلى الحكم أى شيء استثنائى ، على عكس ما يفهم من الآية .

ثم هنا سؤال : هل كان كل رسول يورث الحكم لواحد من أهله كما يفهم مـــن هـــذه الآية ؟ بل هل وصل كل رسول من الرسل السابقين هو نفسه إلى الحكم ؟

***

وجعلنا لك منهم وصيًا لعلهم يرجعون .

سبق القول إنه لم ترد كلمة « وصى » فى القرآن البتة . ثم إننا نتساءل : « لعلهم يرجعون عن ماذا ؟ » .

***

ومن يتول عن أمرى فإنى مرجعه ، فليتمتعوا بكفرهم قليلا ، فلا تسأل عن الناكثين .

فى تكرر « الفاء » هنا على هذا النحو ركاكة . كذلك ليس فى القرآن كله اسم فاعل واحد من « ن ك ث » . وفوق ذلك فلم يحدث فى القرآن مطلقا أن الله سبحانه قد نهى سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام عن السؤال عن أى شىء أو أى شخص ، بل بالعكس لقد تكرر الأمر له عليه السلام بأن يسأل : « فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » (يونس / ٩٤) . « فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم » (الإسراء / ١٠١) . « واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا » (الزخرف / ٤٥) . « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » (الأعراف / ١٦٣) . « سل بنى إسرائيل : كم آتيناهم من آية بيّنة ؟ » (البقرة / ٢١١) « الرحمن ، فاسأل به خبيرا » (الفرقان / ٥٩) ، « سلهم : أيّهم بذلك زعيم ؟ » (القلم / ٤٠.) .

***

يا أيها الرسول ، قد جعلنا لك فى أعناق الذين آمنوا عهدا فخذه وكن من الشاكرين .

مرّ القول إنه لم ترد « قد » فى القرآن قط بعد « يا أيها الرسول » أو « يا أيها النبى » .

ثم إنه لا يقال « إن فلانا فى عنقه عهد » إلا إذا كان قد أُخذ عليه العهد وأقرّ هو به . أما هنا فالعهد لم يؤخذ بعد ، بدليل أنه يقول : « فخذه » . فكيف يكون فى أعناقهم إذن ؟

كذلك فإن هذه الصورة عن الأعناق لم تأت فى القرآن فى أى موضع

منه ، وإنما وردت فيه الصور التالية : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » (أى لا تكن كزًا شحيحا) (الإسراء / ٢٩) . « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » (أى يتحمل مسؤولية عمله) (الإسراء / ١٣) . « فظلت أعناقهم لها خاضعين » (الشعراء / ٤) . « وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا » (سبأ / ٣٣) .

أيضا فليست خاتمة الآية : « فكن من الشاكرين » ، فيما يبدو لى ، ممّا يناسب ما جاء فيها . إنه لو كان المأمور بالشكر هنا عليًا لكان أليق ، لأنه هو الذى نزل من أجله العهد ، إذ إن هذا هو عهد « الوصاية » كما يفهم من سياق الكلام .

***

إن عليًا قانتا بالليل ساجدا يحذر (١١) الآخرة ويرجو ثواب ربه . قل : هل يستوى الذين ظلموا وهم بعذابى يعلمون ؟

فى هذه الآية أيضا ركاكة لا تُحْتَمل ، وبخاصة فى استخدام الحالين « قانتا بالليل ساجدا » ، علاوة على أن تركيب الجملة على هذا الأسلوب يؤدى إلى مدى لا أظن واضع السورة يقصده ، لأنه ينال من على ، إذ المعنى على هذا هو أن عليا ، كرم الله وجهه ، فى غير حالتى القنوت بالليل والسجود ، لا يحذر الآخرة ولا يرجو ثواب ربه . وعلى أية حال فإن استعمال الحال على هذا النحو ، أى بين الاسم وخبره ، لا يعرفه القرآن .

ولنلاحظ أن الكاتب حوّر التعبير القرآنى : « يحذر الآخرة ويرجو رحمة

ربه » إلى : « يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه » ، فخرج عن الطريقة القرآنية ، إذ لم يقع فعل « الرجاء » فى أى موضع فى القرآن على « الثواب » ، وإنما يرد فى هذه الحالة الفعل « يريد » : « ومن يُرِدْ ثواب الدنيا نؤته منها » (آل عمران / ١٤٥) . « ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » (آل عمران / ١٤٥) . « من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » (النساء / ١٣٤) .

أما فيما يتعلق بقوله : « وهم بعذابى يعلمون » فإنه لم يرد قط متعلق الفعل « علم / يعلم / اعلم » فى القرآن متقدما عليه كما فى هذه الآية ، رغم ورود هذا الفعل فى القرآن بضع مئات من المرات . ويبدو أن المؤلف كانت ترن فى عقله أصداء قوله تعالى : « أفبعذابنا يستعجلون ؟ » (الشعراء / ٢٠٤ ، والصافات / ١٧٦) ، فنسج على منواله . ولكن هذا غير ذاك فى الفعل وفى نوع الجملة معا .

***

سيجعل الاغلال فى أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون .

لم يأت فعل مشتق من « الندامة » فى أى موضع من القرآن . وإنما الذى ورد فيه هو اسم الفاعل (مجموعا جمع تذكير سالمًا ، ومنصوبا) خمس مرات ، والمصدر « الندامة » مرتين . ولم تأت « الندامة » فى هذه المرات السبع متعلقة بشىء ، بل جاءت مطلقة ، أى لم يحدد القرآن : « نادمين على ماذا ؟ » أو « ندامة على ماذا ؟ » ، فضلا عن تقدم هذا المتعلق على الفعل كما فى الآية

التى نحن بصدد الحديث عنها . ومن الواضح أن الكاتب قد وضع نصب عينيه وهو يؤلف هذه الآية قوله تعالى : « وأسرّوا الندامة لـمّا رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا » (سبأ / ٣٣) ، فهى الآيـة القرآنيـة الوحيدة التى تجمع بين « الندامة » و « الأغلال » و « العذاب » (١٢) .

***

إنا بشرناك بذريته الصالحين (١٣) .

لم يُستخدم التبشير فى القرآن قط بالنسبة للرسول إلاّ كان التبشير واقعًا منه لا عليه ، أى كان هو « المبشِّر » (بكسر الشين مع تشديدها) لا « المبشَّر » (بالفتح) . وقد تكرر ذلك ١٩ مرة : « فإنما يسرناه بلسانك لتبشّر به المتقيـن » (مريم / ٩٧) . « وبشّر الذيـن آمنوا وعملوا الصالحات » (البقرة / ١٢٥) . « وبشّر الصابرين » (البقرة / ١٥٥) . « وبشّر المؤمنيـن » (البقرة / ٢٢٣ ، والتوبة ١١٢ ، ويونس / ٨٧ ، والأحزاب / ٤٧ ، والصف / ١٣) . « بشّر المنافقيـن ... » (النساء / ١٣٨) . « وبشّـر الذيـن كفـروا بعـذاب أليم » (التوبـة / ٣) . « وبشّـر الذين آمنـوا أن لهـم قـدم صـدق عنـد ربهـم » (يونس / ٢) . « وبشّر المُخْبِتيـن » (الحـج / ٣٤) . « وبشّـر المحسنين » (الحـج / ٣٧) . « فبشّـر عبادِ » (الزمر / ١٧) . « فبشّره بعذاب أليـم » (لقمان / ٧ ، والجاثية / ٨) . « فبشره بمغفرة وأجر كريـم » (يس / ١١) . « فبشّرهـم بعـذاب أليـم » (آل عمران / ٢١ ، والتوبة / ٣٤ ، والانشقاق / ٢٤) .

ومن عجيب أسرار القرآن أن الذين بُشّروا فيه من الأشخاص المعيّنين ، وهم إبراهيم وزوجته وزكريا ومريم عليهم السلام (١٤) ، لم يحدث أن قاموا هم بتبشير غيرهم أو أمروا بذلك ، فكأن القرآن قد جعل من لهم علاقة بالبشارة والتبشير فريقين : فريقا يبشَّر فقط (بالبناء للمجهول) ، وهم الأربعة التى ذكرنا ، وفريقا يبشِّر فقط (بالبناء للمعلوم) . وقد ذكرنا من هذا الفريق سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام . ونضيف إليه سيدنا موسى عليه السلام : « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة ، وأقيموا الصلاة ، وبشّر المؤمنين » (يونس / ٨٧) .

وإليك الآن الآيات الخاصة بالمبشَّرين الأربعة :

١- إبراهيم عليه السلام : « قالوا لا توْجَلْ ، إنا نبشرك بغلام عليم * قال : أبشَّرتمونى على أن مسّنِى الكِبَرُ ؟ فبم تبشّرونِ ؟ * قالوا : بشَّرناك بالحق » (الحجر/٥٣-٥٥) . « فبشرناه بغلام حليم » (الصافات / ١٠١) . « وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين » (الصافات / ١١٢) .

٢- زوجته : « وامرأته قائمة فضحكت ، فبشرْناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب » (هود / ٧١) .

٣- زكريا عليه السلام : « أن الله يبشرك بيحيى » (آل عمران / ٣٩) . « يا زكريا ، إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى » (مريم / ٧) .

٤- مريم عليها السلام : « إذ قالت الملائكة : يا مريم ، إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » (آل عمران / ٤٥) .

وأيضا ينبغى أن نلاحظ أن التبشير لم يأت فى القرآن بصيغة الماضى إلا بعد أن يكون قد وقع ، وجاء الكلام ليحكى ما تم . أما عند التبشير ذاته فلا يستخدم إلا الفعل المضارع . والشواهد التالية ، وقد قسمتها إلى (أ) و (ب) ، توضح ما أقصد :

(أ) « وامرأته قائمة فضحكت ، فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » (هود / ١) . « قالوا : لا توجل ، إنا نبشرك بغلام عليم * قال : أبشرتموني على أن مسنى الكبر ؟ فبم تبشرون ؟ * قالوا : بشرناك بالحق ، فلا تكن من القانطين » (الحجر / ٥٣ - ٥٥) . « فأوجس منهم خيفة ، قالوا : لا تخف . وبشروه بغلام عليم » (الذاريات / ٢٨) .

(ب) : « قالوا : لا توجل ، إنا نبشرك بغلام عليم » (الحجر / ٥٣) . « يا زكريا ، إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى » (مريم / ٧) . « إذ قالت الملائكة : يا مريم ، إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » (آل عمران / ٤٥) .

أما فى الآية التى نتناولها الآن بالتحليل فقد أتى التبشير بصيغة الماضى ، رغم أن وقت وحى الآية هو نفسه وقت التبشير ، فكان ينبغى أن يأتى بلفظ المضارع . ثم إن حسنا وحسينا ، وهما عماد ذرية على المبشَّر بهم فى هذه الآية ، كانا قد ولدا ، لأن المفروض أن هذه السورة ترجع إلى ما بعد حادثة غدير خم ، وهى المناسبة التى يرى الشيعة أن النبى عليه الصلاة والسلام قد نص فيها على وصاية على وحقه فى الولاية من بعده . وهذه كانت بعد ولادة

الحسن والحسين رضى الله عنهما ، إذ وقعت بعد انصراف النبى عليه السلام من حجة الوداع ، وبالتالى فالتبشير فى الآية لا معنى له .

***

وإنهم لأمرنا لا يخلفون .

هذا الكلام لا يخالف نسيج القرآن فقط ، بل يبدو وكأنه لا يمت للعربية بصلة . وكان عليه أن يقول « يخالفون » بدل « يخلفون » . وفوق ذلك ففى القرآن « يخالفون عن أمره » (النور / ٦٣) لا « يخالفون لأمره » .

***

وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبى . إنهم قوم سوء خاسرين .

المفروض أن تُرْفع « خاسرين » لأنها صفة لـ « قوم » . ثم إنه لا يوجد مسوّغ لنصبها من ناحية التناغم الموسيقى مع الفواصل السابقة واللاحقة ، فإن الفاصلتين السابقتين والفاصلة التالية هى بالواو والنون ، وليس بالياء والنون . وأرجح الظن أن مؤلف هذه السورة قد تأثر بدون أن يدرى بالآيتين القرآنيتين اللتين وردت فيهما عبارة « قوم سَوْء » (التى اقتبسها من القرآن وضمنها آيته هذه ، وإن كان قد ضمّ سين « سوء » على حين جاءت فى القرآن مفتوحة) ، فقد انتهت تانك الآيتان بجمع مذكر سالم منصوب :« إنهم كانوا قوم سَوْء فاسقين » (الأنبياء / ٧٤) . « إنهم كانوا قوم سَوْء فأغرقناهم أجمعين » (الأنبياء / ٧٧) ، ونسى أن موقع الكلمة الإعرابى يختلف عنده عن موقعه فى

الآيتين القرآنيتين .

***

وعلى الذين سلكوا مسلكهم منى رحمة ، وهم فى الغرفات آمنون .

قولـه : « سلكـوا مسلكهم » تعبير غريب عن القرآن . والذى فيه هو : « فاسلكـى سُبُلَ ربـك ذُلُلاً » (النحل / ٦٩) . « ليسلكوا منها سُبُلاً فِجاجـا » (نوح / ٢٠) . ومع ذلك فإن القرآن فى التعبير عن تقليد الغير واتّباعه لا يستخـدم عبارة « سلوك السبيـل » ، وإنما فيـه مثـلا : « لا تتبعوا خطوات الشيطـان . ومـن يتبـع خطـوات الشيطـان فإنـه يأمـر بالفحشاء والمنكر » (النور / ٢١) .

وبالنسبة لقوله : « وهم فى الغرفات آمنون » فإن الملاحظ أن القرآن لم يستخدم كلمة « الغرفة » أو جمعها بمعنى « مسكن (أهل الجنة) » قط إلا فى العصر المكى . وهاهى ذى المرات التى وردت فيها هاتان الكلمتان : « أولئك يُجزَون الغرفة بما صبروا » (الفرقان / ٧٥) . « لكن الذين اتقوا ربهم لهم غُرَفٌ من فوقها غـرف مبنيـة » (الزمر / ٢٠) . « والذين آمنوا وعملوا الصالحـات لنبوّئنهـم مـن الجنة غُرَفا » (العنكبوت / ٥٨) . « وهم فى الغرفات آمنون » (سبأ / ٣٧) . أما النص الذين بين أيدينا فالمفروض ، كما سبق أن قلت ، أنه نص مدنى .

والملاحـظ أن الكاتـب قد أخذ ختـام الآيـة / ٣٧ مـن سورة « سبأ »

بنصه ، وجعله ختامًا لآيته التى نحن بصددها .

***

والآن وقد وصلنا إلى ختام تحليلنا لهذه السورة ورأينا أن كل آية فيها تقريبا بل وكل جملة وتركيب من جملها وتركيباتها تخالف الأسلوب القرآنى ، لا يسعنا إلاأن نؤكد تأكيدًا جازمًا قاطعًا أنها لا يمكن أن تكون من القرآن . فإن مثل هذا العدد الكبير من الشذوذات الأسلوبية والمضمونية لايمكن أن يجتمع فى سورة واحدة . وبهذا يلتقى التحليل الأسلوبى لهذه السورة مع الحكم عليها من جهة السند والتواتر ، إذ إنها لم ترد عن النبى عليه الصلاة والسلام أو أحدٍ من الصحابة (١٥) .

كذلك فقد وضعنا أصابعنا ، ونحن فى غمرة تحليلنا لهذه السورة ، على كثير من السمات الأسلوبية اللغوية للقرآن الكريم التى لم يذكرها أحد من قبل .

هذا ، وإن ما قلناه فى هذه الدراسة عن سورة « النورين » ينطبق إلى حد بعيد على سورة « الولاية » ، إذ إن هذه السورة الأخيرة ليست فى الغالب إلا صيغة أخرى لسورة « النورين » . والله ولى التوفيق .

الهوامش

١- محاورة فى الوحى / ط ٣ / القاهرة / ٧٥ .

٢- ط ٥ / إدارة ترجمان السنة / لاهور / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م / ٩٤ .

٣- فيما يخص أمر السماء . ذلك أن هناك موضعًا واحدًا ورد فيه المفعول غير ذلك ، وهو « فأجِزه حتى يسمع كلام الله ثم أبلِغه مأمنه » (التوبة / ٦) ، وهو كما ترى لا يتعلق بأمر السماء .

٤- هكذا وردت فى كتاب « الشيعة والقرآن » لإحسان إلهى ظهير (ص / ٢١) ، وهو خطأ نحوى فاضح .

٥- ولعلك لاحظت أنها حين تقترن بـ « الكتاب والنبوة » تأتى الكلمات الثلاث معرفة بالألف واللام ، أما مع « العلم » فهى وهو يأتيان منكرين .

٦- وفى نفس الاتجاه يمضى قوله تعالى : « وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين » (الصافات / ١١٣) .

٧- وهو العذاب الذى كانوا يكذبون بوقوعه ، ويتحدون الرسول عليه السلام أن يأتيهم به .

٨- ويلحق بهذا النداء قوله تعالى : « يا أيها الرسل ، كلوا من الطيبات » (المؤمنون / ٥١) ، وكذلك قوله تعالى : « يا أيها المزّمّل * قم الليل إلا قليلا » (المزمل / ١ - ٢) و « يا أيها المدثّر قم * فأنذِر » (المدثر / ١ - ٢) .

٩- عدا مجيئها منصوبة خمس مرات .

١٠- الفاعل هنا هو ضمير مقدر بعد « يغنى » يعود على دخول إخوة يوسف من حيث أمرهم أبوهم ، هذا الدخول المفهوم من الكلام السابق على هذه الجملة .

١١- ورد هذا الفعل عند جردنر بضم الياء وفتح الحاء وتشديد وكسر الـذال . أمّا عند إحسان إلهى ظهير فقد جاء بفتح الياء وسكون الحاء وفتح الـذال .

١٢- فأما « الندامة » و « الأغلال » فقد ذُكرا فى الآية التى بين أيدينا ، وأما « العذاب » فقد سبق ذكره فى الآية السابقة عليها .

١٣- وردت هــذه الآية فى جردنر كالآتى : « إنا بشرناك بذرية الصالحين » .

١٤- فضلا عن غير المعيّنين : مؤمنين : « يبشّرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مُقيم » (التوبة / ٢١) . « وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » (البقرة / ٢٥) . « وبشّر الصابرين » (البقرة / ١٥٥) . « وبشّر المُخْبِتين » (الحج / ٣٤) . « وبشّر المحسنين » (الحج / ٣٧) ، وكافرين : « وبشّر الذين كفروا بعذاب أليم » (التوبة / ٣) . « فبشّرهم بعذاب أليم » (التوبة / ٣٤) . « وإذا بُشّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجها مسودًا وهو كظيم » (النحل / ٥٨) ، ومنافقين : « بشّر المنافقين بأن لهم عذابا أليما »

(النساء / ١٣٨) .

١٥- انظر أيضا تأكيد سير وليم موير وتوماس باتريك هيوز أن القرآن لم يحذف منه شيء ، وذلك في كتاب الأخير « Dictionary of Islam » (Oriental Books Reprint Corporation , New Delhi , 1976 , pp. 487- 489)